الفصل الثالث

الصراع بين الوجود و العدم

3.1: الصراع بين الوجود و العدم

أسئلة تراود كل نفس، ما موقع الإنسان من الكون؟ أهو قطرة ضائعة في خضم الموجودات، أم هو غاية الوجود؟ وما حقيقة الوجود؟ وكيف بدأ؟ وكيف جئنا؟ وإلى أين نمضي؟ وماذا بعد؟ وقبل أن يجيب عنها الإنسان يتلمس وسائله للمعرفة في الحياة....إلى أي مدى يثق الإنسان بحواسه؟ وهل معطياتها مصدر للحقيقة؟ هل ما نراه ونحسه هو الموجود، أما العدم فيبتدئ حيث تنتهي طاقات حواسنا،....أو أن الوجود يتخطى الحواس؟ وإذا كان ذلك فبأي الوسائل نتعرف إليه؟[1]

(انتشرت الوجودية في الغرب وتشعبت آراء الفلاسفة حول أصل العالم، وإلى جانبها الآثار الأدبية القديمة...ومن آرائهم مثلًا يرى مذهب طاليس أن أصل العالم الماء، وهيرقليطس يرى أن أصل العالم النار فهي المبدأ الأول للوجود، والفيثاغورثيون يقولون إن أصل العالم هو العدد، والفلاسفة الذريون ومن أشهرهم ديقراطيس يرون أن أصل العالم هو الذرة ويفسرون الكون والفساد في هذا الوجود)[2].

الفلسفة الوجودية هي تلك الفلسفة الفردية التي تهتم بتناقض العلم وموضوعاتها خارجة عن إطار المعطيات العلمية، ولاتهتم بالتناقضات الواقعية الاجتماعية، ووقفت الوجودية ضد العقل وأعطت الأولوية لوجود الإنسان، وإدراكه للعالم من خلال وجوده، زمن مبادئها الأساسية (أنا أفكر إذن أنا موجود)، فهي فلسفة الوجود، وتهتم بالوجود الشخصي للفرد الذي يعاني في صراعه مع الوجود من خلال تجاربه في الحياة، وأنكر سارتر المادية وعالم المثل والقيم الأخلاقية المتوارثة، ونادى بالتحرر من قيم الماضي وتراثه، ودعا إلى الحرية المطلقة، والوجود والعدم كانا من البداية كالحقيقة والمرآة....الحقيقة الفاعلة والمرآة قابلة ناقلة ولكنها سالبة لاتضيف من عندها شيئًا ولاتقدر بذاتها على شيء سوى أن يظهر فيها الأمر على ماهو عليه[3].

---

[1] - ينظر التجديد في شعر المهجر، د. أنس داود، ص78.
[2] - أدب المهجر، د.صابر عبدالدايم، ص185.
[3] - ينظر الوجود والعدم، د. مصطفى محمود، ص62.

(وتدور موضوعات الوجوديين حول الاغتراب واليأس والموت، أما العدم في المذهب الوجودي عند هيدجر: فالذي يكشف عن العدم في مذهبه هو الحالة العاطفية المعروفة بالقلق)[1]، وقد انعكس الفكر الوجودي في الأدب أيضًا.

وقد حُدِّدت عبارة الوجود التي قالها باركلي وهي: (**الوجود هو كون الشيء مدركًا**)، لكنه نعت (النوئيما)* بأنها غير واقعية وقال إن (**وجودها هو إدراك**)[2].

(لكن هيجل يكتب عن (الوجود و العدم) أنهما تجريدان خاويان، وأحدهما خاوٍ كالآخر، ينسى أن الخاوي خاوٍ من شيء ما، لكن اللاوجود خاوٍ من الوجود، وبالجملة، فما ينبغي أن نذكره هنا ضد هيجل هو أن الوجود **هو** وأن العدم **ليس هو**)[3].

أما الدكتور مصطفى محمود في كتابه الوجود والعدم فيقول: (فالعدم ليس معدومًا وإنما له كينونة من نوع ما، والفرق بين كينونة الوجود والعدم كالفرق بين الموجب والسالب....وكالفرق بين النور و الظلمة)[4].

وقد كانت الوجودية عند مثقفي العرب تنافس الماركسية، فقد تبنوها فكرًا، إذ اتصلت الظروف السائدة في العالم العربي اتصل بالواقع الذي أفرز مذهبًا للتحرر السياسي والاقتصادي والثقافي، وإذا تعمقنا أكثر ونظرنا إلى الشعر، فسنرى أن الوجودية أقرب الفلسفات إلى الشعر، والشعر أقرب الفنون إلى الوجودية.

يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه (الإنسانية والوجودية في الفكر العربي): (فالشعر والفلسفة صورتان للتعبير عن الوجود: إحداهما للتعبير عن الإمكان، والأخرى للتعبير عن الآنية، والوجود إمكان وآنية معًا، ولهذا كان الشعر والفلسفة متكاملين، ولاغنى للواحد عن الآخر)[5].

---

[1] - الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، د. عبدالرحمن بدوي، ص89.

*النوئيما Noeme: المدرك فكريًا؛ وفي فلسفة الظاهريات هي مضمون الفكرة في مقابل فعل الفكر. ينظر الوجود والعدم، بحث في أنطولوجيا الظاهرية،جان بول سارتر، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي، ص20 منشورات دار الآداب- بيروت، الطبعة الأولى،1960.

[2] - الوجود و العدم، جان بول سارتر، أنطولوجيا الظاهرية، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي، ص21.

[3] - السابق، ص67.

[4] - الوجود والعدم، د. مصطفى محمود، ص38.

[5] - الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، د. عبدالرحمن بدوي ، ص113.

لقد اختلفت فكرة الوجود عند الشاعر القديم عن الشاعر المهجري، فقد كان عند القدماء مجرد تناول حسي، أما عند شعراء المهجر فيحسون بالوجود إحساسًا كليًّا شاملاً، لأنهم يلتقونه من خلال وجدانهم، ويضمونه بين جوانحهم[1].

وأدباء المهجر لم يعنوا بالبحث الفلسفي قدر ماعنوا بالتأمل في مشاهد الوجود، فهم لم يبحثوا في أصل الوجود مثل الفلاسفة، إلا أنهم بهروا بما حولهم وتأملوا في كل شيء وحاولوا كشف الأسرار العميقة، وضحوا بما يملكون من ثروتهم الروحية ووجدانهم الصافي العميق.

وعلى غرار ذلك يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي: (إن الشاعر يخلق عالمًا من الوجود قائمًا بذاته، ويملك قدر ما يملك عالم الفيلسوف في نظر صاحبه، بل لعل الشعور عند الأول أقوى منه عند الفيلسوف)[2].

ويمثل الشعر المهجري الصراع المتردد بين هاتين النزعتين، وتتمثلان في النزعة الإنسانية الصرْف في الإيمان بالتجدد والعدم المطلق[3]، وقد قسمها الدكتور صابر عبدالدايم في كتابه أدب المهجر إلى:

1- وحدة الوجود.

2- تناسخ الأرواح*.

3-الثنائية.[4]

لقد اعتد جبران بالخيال إلى حد أنه كان يجسد له مخلوقات وهمية، تقاسمه مسرات الحياة وآلامها، ولقد قال عن الخيال، على لسان إحدى بطولاته: (ما أجهل من أن يتخيل أمرًا ويتصوره بشكله ومعالمه، وعندما يستحيل عليه اثباته بالمقايس السطحية، والبراهين اللفظية، يحسب الخيال وهمًا، والتصور شيئًا فراغًا، ولكن لو تعمق قليلًا وتأمل هنيهة، لعلم أن الخيال حقيقة لم تتحجر بعد، وأن التصور معرفة أسمى من أن تتقيد بسلاسل المقاييس، وأعلى وأرحب من أن تسجن بأقفاص الألفاظ).[5]

---

[1] - ينظر الطبيعة في الشعر المهجر، د. أنس داود، ص32.

[2] - الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، د. عبدالرحمن بدوي، ص117.

[3] - ينظرالشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، د. إحسان عباس، د. نجم يوسف، ص104.

* يعني التناسخ انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدنٍ آخر، أو رجوع الروح إلى الحياة بجسد آخر هي فكرة فلسفية ودينية وعلمية مرتبطة بالجسد والروح والذات، (راجع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

[4] - ينظر كتاب أدب المهجر، د. صابرعبدالدايم، الفصل الثاني من الباب الثالث، ص286 وما بعدها.

[5] - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، تقديم ميخائيل نعيمة، ص286.

فالخيال إذن له مقاييسه الخفية، وبراهينه غير المحسوسة، وقدرات تجعله أقدر من براهين العقل و مقاييسه على النفاذ إلى أعماق الأشياء، والإلمام بحدود المعرفة، وبدهي أن هذا الاعتداد بالخيال الذي يخلف المنطق وراءه، يستهين بالعالم الحسي، وحدوده الزمانية والمكانية، ويتصور الوجود مجتمعًا في ومضة فكرة خاطفة، ولمحة خيال تصله من أطرافه...وهكذا كان الوجود فيما يرى جبران، فإذا أضفنا إلى هذا الاعتداد بالخيال اعتداد جبران بالإنسان المتفرد الذي لم يكن غير (جبران) نفسه، وأن جبران قد وضع الوجود أمامه وجهًا لوجه، و عَدَّ نفسه مقياس الحقيقة من ناحية، وذروة الوجود، وأرفع مخلوقاته من ناحية أخرى، وأن كل ما في الوجود كائن فيه وبهو له، وأن كل مافي عالمه الداخلي هو الموجود في الخارج، (ويستطيع كل إنسان أن يتشوق ثم يتشوق حتى ينزع الشوق نقاب الظواهر عن نفسه، فيشاهد إذ ذاك ذاتهُ ومن يرى جوهر الحياة المجرد، فكل ذات هي جوهر الحياة المجرد)[1].

هكذا يتعانق الإنسان والكون - في نظر جبران- في وحدة حميمية، يستحيل معها فناء الإنسان، كما يستحيل فناء الوجود، لأن (كل موجود باقٍ، ووجود الوجود دليل على بقائه)[2]:

أَمَاتَ سَعدٌ وَرُوحُ الشَعْبِ بَاقِـــيَةٌ ... وَالـــــرَأي مُؤتَلفٌ وَالشَمْلُ مُلْتَئِمُ

وَالرَمْزُ بَاقٍ وَذَاكَ الصَوتُ نَسْمَعُهُ ... مَهْمَـــــا تَنَوَّعَتِ الأصْواتُ وَالكَلَمُ

إنَ اتحَادَ قُواكم بَعْدَه عـــــــوضٌ ... مِمَنْ دَهَى مصْر فِيهِ الثكلُ وَاليتمُ

وَالبِّر مِنْكُمْ بِه برٌّ بِـــــــأنفُسِـكُمْ ... إمَا الـــــوجُودُ بِمعناهُ أو العَدَمُ[3]

إن فكر جبران الذي أثرته الغربة والحب بالدرجة الأولى اتسم بتعظيم الحب وبالإيمان بوحدة الوجود وبعظمة الإنسان، كما أحب جبران الطبيعة والجمال وهذا طبيعي كونه رسامًا من جهة وكونه يؤمن بوحدة الوجود من جهة اخرى.

وبما أنه أخذ فكرة وحدة الوجود عن الديانات الشرقية وعن التصوف الإسلامي، فإننا نلتمس من فكر جبران أنه يؤمن بشكل ما بالله و ربما بشكل مختلف عن مفهوم الإله للديانات التقليدية؛ فهو يؤمن بأن الله هو الذات العظيمة للبشر جميعًا ويسميها هو بالإنجليزية

---

[1] - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، تقديم ميخائيل نعيمة، ص278.

[2] - السابق، ص283.

[3] - جبران خليل جبران، من قصيدة (لينتشر بعد طي ذلك العلم)، موقع: (ABGAD) (موسوعة الأدب العربي).

"GOD-self" وأن كل شيء قائم على الحب، وهذا حال بعض من يؤمن بوحدة الوجود أنهم يرون الله والطبيعة والروح وذات الإنسان مندمجة في وحدة واحدة؛ أي إن الذات الإلهية ومخلوقاتها هي وحدة واحدة، وليس كل من يقول بوحدة الوجود لديه هذا الرأي طبعا فبعضهم يرى وحدة الوجود بطريقة مختلفة، (و وحدة الوجود هي الوحدة التامة بين الإنسان والحيوان والنبات والحجر، التوحيد بين الموت والحياة الجماعي والفردي)[1].

وهو متأثر بالشاعر الانجليزي (وليم بليك) الذي يقول في قصيدة (الخلود):

إنَ مَنْ يَلْوي فَرَحًا نَحوَ نَفْسِهِ
يَحطم الحَياةَ المُجَنَحة؛
لَكِن مَن يَقْبَل الفَرحَ وَهُو يَطير
يَعِيشُ فِي طَلْعَة شَمْس الخلوُد[2]

(والوجود عند جبران يمتد إلى أعمق من مفهومه، فهو قائم بَصرف النظر عن صوره، والأرواح عنده تتناسخ، وفكرة الموت تعني الانتقال لا العدم)[3].

نقول بلسان جبران إن كل موجود باق ما بقيت الرسالة الجبرانية، أما دليل بقاء الموجود المتمثل بوجودك فهو المعنى المعطى، لولا الفكرة، والمفهوم، وبشكل أدق المعنى، لما كان العالم موجودًا، ولما علم العالم أنه موجود أو غير موجود، إن المعنى كيان أزلي أبدي خالد لا يتغير إلا ليتجوهر، ولايختفي إلاليظهر بصورة أسنى، ولاينام إلا ليحلم بيقظة أبهى. إن الذهنية المجردة المعطاة في صيغة اتصال محكم لا ثغرة فيه ولاغياب له قادرة على إضفاء المعنى، فيقول في (المواكب):

أَعْطنـــــي النَّاي وَغنِّ ... فَـــــالغِنَا سرُّ الخلُودْ
وَأنينُ النَـــــاي يَبقَىَ ... بَــعدَ أَن يَفنىَ الوُجوُدْ
هَلْ اتخَذت الغَابَ مثلي ... مَنـــزِلًا دونَ القصُورْ
فَتَتَبّعتَ السَّـــــواقي ... وَتَسَلّــقتَ الصّخورْ[4]

---

[1] - ERNST FISHER, The Necessity Of Art, (Tr. By Anna Bostock), P39, Polican,London,1963.

[2] - كما ورد في وليم بليك، تأليف د. ج. كلم، ترجمة د. عبدالواحد لؤلؤة، ص42، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.

[3] - أدب المهجر، د. صابر عبدالدايم، ص290.

[4] - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، من قصيدة (المواكب)، تقديم ميخائيل نعيمة، ص363.

إنّ حديث جبران في (المواكب) يتردد فيه ذكر الأنين، حتى صار القارئ لا يذكر (المواكب) إلابذكرِ الناي ولايذكر الناي إلا ومعه الأنين، فيتصل الحديث عن الناي في شعره بالحديث عن البقاء والخلود (وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود)[1]

ويرى أن ما يمتاز به من الناس هو أفضل ما في الموجود:

وأَفضلُ العلمِ حُلمٌ إنْ ظَفَرْتَ بـــه ... وسِـرتَ مَابَينَ أبْنَاء الكرَى سَخَروُا

فَإن رَأيتَ أخا الأحلامِ مُنْفَـــــرِدًا ... عَنْ قَومِـــــــهِ وَهو مَنبوذٌ وَ مُحتقرُ

فَهوَ النَبي وَ بُرد الغَدِ يَحْجبـــــه ... عَنْ أمـــــــــه بِردَاء الأمْسِ تَأتَزِرُ

وَهُوَ الغَريبُ عَنْ الدُنيا وَ سَاكِنها ... وَهُوَ المَـــجَاهر لاَمَ النَاسَ أَو عَذَروا

وَهُوَ الشَديد وَإن أبدَى مَـــلاينـه ... وَهُوَ البَعيدُ تَدَانى النَاسَ أَمْ هَجَروُا[2]

وقصيدة المواكب كما يفهم من ظاهرها قصيدة اجتماعية، ولكن حينما نتأملها ونعرف رسالة جبران نصل إلى عمقها الحقيقي وهو التأمل في الوجود، (والمعنى الحقيقي يأتي على لسان الشيخ في صورة هتاف اليأس من حياة المدينة والمعنى الحقيقي العميق يتغلغل في روح الفتى العاري الخارج من الغاب يعزف على نايه... فهو يرمز إلى وجه الوجود المتجرد من كل الأقنعة التي تكشف عن سر المعرفة الحقيقية)[3].

و نرى أن جبران في قصيدة يانفس يبرز تلك الثنائية -الحياة والموت- بشقيها الفاني الزائل و الخاضع، يقول:

يَا نَفْسُ مَا العَيْشُ سِوَى ... لَيْـــــل إذْ جَن انْتَهى

بِالفَجْرِ وَ الفَجْر يَدوم

يَا نَفْسُ إنْ قَالَ الجَهوَلْ ... الرُّوحُ كَالجسمِ تَزولْ

وَمَا يَزولُ لاَيَعُـــــوُدْ

قُولِي لَهُ: إنّ الزهـورْ ... تَمْضِـي وَلَكنَّ البذُورْ

---

[1] - الرومنطيقية ومنابع الحداثة في الشعر العربي (الرابطة القلمية نموذجًا)، محمد قوبعة، ص436، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، الطبعة الثانية، جامعة المنوبة، 2011.

[2] - المجموعة الكاملة لجبران خليل جبران، من قصيدة (المواكب)، قدم لها ميخائيل نعيمة، ص356،357.

[3] - أدب المهجر، د. صابر عبدالدايم، ص 304.

تَبقَىْ، وَذا كُنْهُ الخُلودْ[1]

هنا نرى رغبة الشاعر في قهر فعل الزمن والتغلب على ديمومة الخلود ومعانقته، ولايخفى ما في ذلك من التماهي، تماهي الشاعر (وهو الكون الأصغر) بما قد لمسه في الكون الأكبر من مظاهر التجدد ينفي العدم، كما لايخفى علينا ما في تشبيهه العيش بالليل من إشارات واضحة إلى ما يرمز إليه الليل من تدهور، حيث تنتهي دورة الليل بالفجر وكذلك دورة الموت والانبعاث، موت العارض الزائل وبقاء الجوهر الخالد ليبعث الحياة من جديد[2]. (وأحيانًا يعبر جبران بالرمزعن أحاسيسه ومواقفه وفلسفته الوجودية، فالشجرة (التائة) رمز بها إلى الإنسان والوجود)[3]، لكن في كتاب النبي يفسر(مظاهر الوجود ويعلن موقفه حيث يتكلم عن الأشياء التي توطد علاقة الإنسان بالإنسان)[4] ، فنراه يقول:

الوَدَاعْ ...الوَدَاعْ

يَا أبْنَاء أورفليس

قَدْ غَربت شَمْس هَذا اليَوم

وَأغْلَقَ عَليْنَا أبوَابَهُ كَمَا تَغلق زَنْبَقةَ الغَور أورَاقها

عَلَى غَدِهَا

فَكُل مَا أعطَيْنَاه هَا هُنا سَنَحْتَفِظُ بِهِ

وَإذا لَمْ يَكُنْ كَافِيًا

لِسِدْ حَاجَاتِنِا

فَإنَنا سَنأتي ثَانِيةً إلى هَذا المَكَان وَنَمُدَ أيْدِينَا.

مَعا لِمَن أعْطَانَا

وَلاتنسوا أنَنّي سَآتي إليكُمْ مَرَةً أُخْرَى

فَلَنْ يَمُرَ زَمَن قَليل حَتَى يَشْرَع حَنِينِي

فِي جَمْع الطِين وَالزَبد لِجَسَدٍ آخر

---

[1] - جبران خليل جبران، الأعمال الكاملة، البدائع والطرائف، من قصيدة (يانفس)، ص198، تقديم كرم الدكروري، دار العلم والمعرفة- مصر،2011.

[2] - ينظر الرومنطيقية، محمد قوبعة، ص451.

[3] - الرومنطيقية العربية، الشاذلي الفلاح، ص84، دار صامد للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، تونس،2006.

[4] - أدب المهجر، د. صابر عبدالدايم، ص191.

قَليلًا وَ لاتَرونَنِي ... وَقَليلًا تَرونني

لأنَ امرأة أُخرى ستَلِدُني

فَالحَيَاة تَنْتَهي لِتَعودَ فِي صُورةٍ أُخرى وَ رُبَما يَتَشَكل الإنسان فَيَكون زَهْرة.

***

الوَدَاعْ ...

يَا شَعْب أورفاليس، إنّي أَمْضِي مَع الرِيح، وَ لَكني لا أَهْبِط إلى مَهاويَ العَدم[1]

كذلك يقول جبران في كتابه أرباب الأرض:

(ألاَ مَا أضْجَرَ رُوحِي بِكُلِ مَاهُوَ مَوجُود.

لَنْ أحَرّكَ سَاكِنًا لِخَلْق عَالَمٍ أو لمحْو آخر.

لَوْ كُنتُ أَمْلك المَوْتَ مَا رَضيتُ الحَيَاة،

فَعبء الدُهور يُثْقلُ كَاهِلِي،

وَ ولُولةَ البِحَار التي لاَ تَنْقَطع تَزعج غَفْوَتي.

لَوْ أنَنّي تَحلّلت مِن الغَايَة البِدائِيةَ،

وَتَلاشَيْتُ كَشُعاع الشَمْس المُبدّد

لَوْ أنّي خَلعت عَن ربوبِيَتي هَدَفها وَلَفَظت خلُودي فِي الفَضَاءِ،

فَلمْ أَكُ شَيئًا؛

لَوْ أنّي فَنَيْتُ وَ خَرَجْتُ عَنْ ذَاكِرةَ الزَمَانِ،

إلى خَواء اللاوجود![2]

أستطيع القول بأنَّ جبران شاعر أكثر من كونه فيلسوف, فهو لم يحاول أن يبرر أو يحلل أفكاره وإنما نقل وجدانه بأسلوب تصويري جميل.

---

[1] - النبي، جبران خليل جبران، ص92، ترجمة د. ثروت عكاشة، دار الشروق، الطبعة الثانية عشرة، القاهرة، 2014.

[2] - أرباب الأرض، جبران خليل جبران، ص15،14، ترجمة د. ثروت عكاشة، دار الشروق، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1999.

(وهنا قد امتحن بألوان من الصراع الخفيّ الذي يدور في النفس الإنسانية، وما قصدناه هنا الصراع بين الوجود والعدم إذ برز نوع من الجدل يمكن تسميته بالملحمة الشعرية)[1].

وإن ما جاء به من أفكار في كتاب أرباب الأرض ربما لم تكن جديدة في كثير منها فقد قالها قبله كثيرون حول مصير الإنسانية، إلا أن ما يميز جبران بالنسبة إلي هو الطريقة التي صاغ بها أفكاره والأسلوب النابض بالحب الذي كتب به عباراته.

والوجود في رأي جبران لا يفنى وإنما ينتقل من صورة إلى صورة أخرى فهو يقول: (ما كانت حياتنا هباء، لو لم تشيد البروج من عظامنا).[2]

وامتدادًا للبحث عن حقيقة الوجود، يتفق جبران مع داروين في نظريته (النشوء والارتقاء) وهي نظرية تنادي بتطور الحياة وأن أصلها واحد...وكان الإنسان هو قمة هذا التطور وصورته المثلى، وقد ظل داروين من عام 1831م إلى 1859م يتجول على ظهر الباخرة بيجل حول العالم يجمع الملاحظات، وقد رأى أن الحياة تتلون وتتكيف وتغير من تكوينها لتتلاءم مع بيئتها على الدوام[3].

لكن الوحدة الصميمة بين الإنسان والكون، التي يعطيها (الوجود) حقها السرمدي في البقاء، تصطدم في مجال الحس بتجربته، التي تشبه (الفقد) وتشبه (العدم) وتشبه (النهاية)، وهذه التجربة هي (الموت) الذي لايخدش فكرة الاستمرار في الوجود عند جبران، لأنه يرى في كل نهاية بداية جديدة، وهذا نفس ما نجده عند نعيمة، فاللحد عنده مهد الحياة:

وَعِندما الموتُ يَدنـو و اللـــحدُ يَـفغُر فـَاهْ
أغمِضْ جُفونَكْ تُبصرْ في اللّحد مَهْدَ الحياه[4]

وهنا نلتقي مع فكرة البعث التي أكدتها الأديان السماوية، فليست الحياة الدنيا هي الوحيدة للكائن الحي، فهناك حياة أخرى، هي مجال الثواب أوالعقاب على ماقدمه الإنسان من خيرٍ أو شرٍ في هذه الحياة الدنيا، فليس الموت (عدمًا) ولكنه تمهيد للحياة الأخرى إلتي لايشوبها (عدم).

---

[1] - أرباب الأرض، جبران خليل جبران، ترجمة د. ثروت عكاشة ، مقدمة الكتاب، ص13.
[2] - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، (رمل وزبد) تقديم ميخائيل نعيمة ، ص122.
[3] - ينظر أدب المهجر، د. صابر عبدالدايم، ص310.
[4] - همس الجفون، من قصيدة (اغمض جفونك تُبصِرْ)، ميخائيل نعيمة، ص8.

(لكن المقصود هنا ليس فكرة البعث التي نراها عند الأديان السماوية، بل إن كلًا من جبران ونعيمة من المؤمنين بتناسخ الأرواح، فقد نظرا إلى الموت لابوصفه عدمًا وفناءً وإنما بوصفه بداية جديدة، وهما في ذلك لايعنيان الخلود الذي تعنيه الأديان السماوية، فخلود الإنسان –في نظرهما – يظل على هذه الأرض، حيث تتجدد الحياة عليها)[1].

وأيضًا يلتقي عند ميخائيل نعيمة الماضي بالحاضر بالغد في صورة السنة المقبلة التي تختفي فيها الأزمان والآماد والناس في أسرارها حائرون[2]، يقول: إلى سنة مقبلة.

مَا أَنتِ فِي سِفْرِ الزَمَـــــــان العَظيمْ
إلاّ صَدَى المَاضي وَصَـــــــوت الغدِ
فِيكِ اسْتَوى مِن قَـــــــبلِ أنْ تُولَـدى
قطْبَا حَيـــــــاةٍ نَحْنُ فِيهَا نَهيـــمْ
لا جُوعِها يَشْـــبَع
لاَمَوتُها يَـــهْجَشْ
لاَطَامعٌ يَقْنَـــــعْ
فِيهَا وَلاَ الزّاهِدُونْ
النّـــــــاسُ في أسْرَارِها حَائِرُونْ
وَالسِرّ، لَوْيَدرونَ، فِـــــيهَا مُقِيمْ[3]

تقول الدكتورة نادرة جميل السراج : (ميخائيل نعيمة الشاعر الفيلسوف يعتقد بتناسخ الأرواح كزميله جبران، ويصر في كتاب من كتبه باعتقاده بنظرية التقمص التي تشبه التناسخ في عموميتها)[4].

أما الدكتور عيسى الناعوري فيقول في كتابه المهجريات: (ومن شاء أن يعرف خلاصة فلسفة نعيمة في الحياة والوجود التي نثرها في جميع أعماله الأدبية فنرى أنه قد تأثر بـ جبران في الإيمان بـ وحدة الوجود والتناسخ)[5].

---

[1] - التجديد في شعر المهجر، د.أنس داود، ص83.
[2] - ينظر أدب المهجر، د. صابر عبد الدايم، ص310.
[3] - همس الجفون، من قصيدة (إلى سنة مقبلة)، ميخائل نعيمة، ص25.
[4] - شعراء الرابطة القلمية، د. نادرة السراج، ص 125.
[5] - مهجريات، د. عيسى الناعوري، ص89، دار الكتب العربية، ب. ط.، ليبيا، 1990.

ميخائيل نعيمة يفلسف الأشياء ويخضعها لناموس الحياة والموت، وكأنها كائن حي، أو هي كذلك، تمر عليها قصة الوجود كما تمر على الإنسان، تعيش الحاضر والماضي وتنحني للأقدار، إنها سُنة كل المخلوقات أنهم يعودون من حيث أتوا، من التراب إلى تراب[1]:

عُودِي إِلى حُضْنِ الثَّـــــرَى
وَجَـــــــدّدِي الـــــــعهُودْ
وَانْسِي جَمَالًا قَـــــد ذَوَى
مَا كَان لَـــــــــــنْ يَعُودْ
كَمْ أزْهَرَتْ مِن قَـــــــــبْلَكَ
وَكَـــــــــــمْ ذَوتْ وُرُود
فَلاَ تَخافِي مَا جَـــــــــرَى
وَلاتَـــــــلُومِي القَـــــدَرَا
مَن قد أضَاعَ جَوْهَـــــــــرَا
يَلْقَاهُ في اللـــــــــــحُودْ
عُودِي إلى حُضْـــنِ الثَّرَى[2]

(هنا يحس القارئ بأن الشاعر يبكي الورقة ومصيرها -وهو مصير الإنسان نفسه- بدموع تتساقط من قلبه ولسانه، ويحدّثها بنبرة مختنقة، أن تتشجع و تتجلد، وتواجه مصيرها بقلب قوي، فإن من يضيع جوهرًا لابد أن يبحث عنه في باطن الأرض).[3]

وفي مكانٍ آخر يعرض مسألة الحياة والنفس متسائلًا عن نفسه وماهيتها وطرق مجيئها، فهو حائر ويتساءل عارضًا عددًا من الاحتمالات، وهذه التساؤلات جزء من علاقة الإنسان مع الحياة، (الإنسان فضولي ويريد أن يعرف كل شيء عن تفاصيل الخلق والوجود)[4]:

هَـــــلْ مِن الأمْواجِ جئتِ؟

---

[1] - ينظر موسوعة شعراء المهجر، د. حسن جعفر نورالدين، ج1، ص295
[2] - همس الجفون، من قصيدة (أوراق الخريف)، ميخائيل نعيمة، ص48.
[3] - الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، د. إحسان عباس، د. نجم يوسف، ص106.
[4] - موسوعة شعراء المهجر، د. حسن جعفر نورالدين، ج1، ص297.

هَلْ مـن البَـــــرْقِ انْفَصَلَتِ؟

أمْ مَعَ الـرَّعدِ انحـــــــــدرتِ

هَلْ مِنَ الـــــــــفَجْرِ انبثقتِ

هَلْ مِنَ الشَمـــــــسِ هَبَطِتِ؟

هَلْ مِن الألحَـــــــــانِ أنتِ[1]

وفي ملامح التأملية الفلسفية المستغرقة في سر الوجود عبر القصيدة إلى .M.D.B يقول:

أنَـــا السرُّ الذي اسْـتَتَرا

بِروحـــكَ مِنذُ مَا خَطَـرا

بِبَـــــالِ الكَائنِ الأعْلَـى

خَيَـــــــال العَالَم الأدْنَى

فَصوَّر مِن ثَرىً بَشرا[2]

كل هذه التساؤلات تفصيل لماهية النفس، التي أفاض بها الله على الإنسان، والإنسان المغترب على الصعيد الميتافيزيقي هو الذي يفتقد فهم أمرين مُهمين يتعلقان بالوجود الإنساني هما: معنى الحياة، والغاية من الحياة، فهو عاجز عن فهم معضلات الوجود الإنساني وغير قادر على إدراك مجموعة من الحقائق، فهذه الأمور تجعله يحس بالعجز.

وتظهر آثار فلسفة البعث في أشعار أبي ماضي، فهو يخاطب زوجته (دوروثى) في قصيدته (الدمعة الخرساء) حين قالت :أنموت وتنقضي أحلامنا...في لحظة وإلى التراب نصير، يقول:

فَأجَبْتها: لِتَكُنْ لِديدَانِ الثَّـــــرَى ... أجْسَـــــــامُنَا إنَّ الجسُومَ قُشُـورُ

فَإذا طَوتنَا الأرضُ عَنْ أزْهَـارِهَا ... وَخَـــــلا الدُّجى منّا وَفيهِ بـــدورُ

فَسَتَرجَعِين خَمِيلةَ مُـــــــعطِارَةَ ... أنَـــــــا فِي ذَراها بُلبُل مَسْحُـورُ

أو جِدلًا مُـــــــترَقرِقًا مُتَرَنِمـــًا ... أنَا فِيهِ مَـــــوجٌ ضَاحِكٌ وَخريـرُ

---

[1] - همس الجفون، من قصيدة (من أنت يا نفسي)، ميخائيل نعيمة، ص14.

[2] - السابق، من قصيدة (إلى .M.D.B)، ص101.

أوْ تَرْجِعينَ فَرَاشـــةً خطَّـــارةً أنَا فِي جَنَاحَيْهَا الضُحَى المَوشُورُ
أوْ نَسْمَةً أنَا هَمْسُهـا وَحَفِيفُـهـا أبَـــدًا تُطـوّفُ فِي الرِبى وَتَـدورْ
أوْتَلْتَقي عِندَ الكثيبِ،عَلى رِضَى وَقَنـــاعَةٍ، صَفْصَافَةُ وَ غَدِيـــرُ[1]

ومن الغريب أن أبا ماضي يعد هذه الفلسفة من باب الوهم والتخدير لمشاعر زوجته حتى لاتصدمها الحقيقة المُرة حقيقة الموت و الفراق الأبدي، فبعد أن يمنيها بأنهما سيرجعان ويتقمصان الكائنات الطبيعية، يقول:

فَتَبَسمَتْ وَيدُ الرِضَا فِي وَجْهِهَا إذْ رَاقَهـــا التَمْثِيلُ وَ التَصْوِيرُ
عَالَجَتُها بِالرهْمِ وَهِيَ قريـــرةٌ وَلَكُمْ أَفادَ المُـوجـــعَ التَخْديرُ[2]

ينظر إيليا إلى الوجود نظرة كلية، ويندمج في مشاهده الخارجية و يعبر المسافة التي تفصله عنه..(لينقد صميم فكرته، ويتوصل إلى الأسرار الكامنة داخل الوجود)[3].

وفي قصيدة الطلاسم لإيليا أبو ماضي يصور حيرته أمام الكون وألغازه، ويكشف عن شعوره العميق بقصوره عن التغلغل في حقائق الأشياء واستجلاء صفاتها وعلاقاتها ومصدر وجودها، فإيليا في تأملاته وبتساؤلاته غير قادر على حل لغز الوجود، فقد استعصى ظاهر الكون على منطق عقله الإنساني المحدود معرفيًّا، وأصابته الحيرة ودهشة أمام متناقضات الوجود، فقد صب في هذه المطولة ذوب وجدانه وخلاصة تجاربه، ومشاق رحلته الطويلة عبر آفاق الوجود، لكن ترى هل وصل إلى شاطئ المجهول؟ لا لم يصل! لأنه في النهاية يقول: لست أدري![4] ويقف طويلًا أمام جدلية الوجود والعدم، يتعمق في فلسفة الحياة والموت، ليعبر عن شيئية الإنسان، عن لا جدواه في الوجود، فنراه يقول:

جِئْـتُ لاَ أعْلَمُ مِن أينْ وَلَـكنّي أَتَيْتُ
وَلَقَدْ أبْصَرتُ قُدَّامِي طَرِيقًا فَـمَشَيْتُ
وَسَأبْقَى مَـاشِيًّا إنْ شِئتُ هَذَا أَمْ أَبَيْتُ
كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أبْـصَرْتُ طَرِيقِي ؟

---

[1] - الجداول، إيليا أبو ماضي، من قصيدة (الدمعة الخرساء)، ص181.
[2] - السابق، ص182.
[3] - أدب المهجر، د. صابر عبدالدايم، ص305.
[4] - السابق، ص316.

لَسْتُ أدْرِي!

***

جِئْتُ لاَ أعْلَمُ مِن أيـــــــــــنْ...

إنَنِي جِئْتُ وَأمْضِي، وَأنَا لاَ أعـــلَـمُ

أنَا لُغزٌ، وَ ذَهابِي كَمَجِيئِي طَلْـــسَمُ

وَ الذي أوْجَدَ هَذا اللُغزَ لُغز مُبْـهَـمُ

لاَتُجَادلْ.. الحجَى مَنْ قَالَ إنّي.....

لَسْتُ أدْرِي!

***

أَجَدِيدٌ أمْ قَدِيمٌ أنَا فِي هَذا الوجُـــــودْ

هَلْ أنَا حُرٌّ طَلِيقٌ أمْ أسيرٌ فِي قِيـــــودْ

هَلْ أنَا قَائِدُ نَفْسِي فِي حَيَـاتِي أمْ مَقُودْ

أتَمَنَّى أنَنّي أدْري وَلَـكِنْ ...

لَسْتُ أدْرِي!

***

وَلَقَدْ قُلْتُ لِنَفْسِي وَأنَـــا بَيْنَ المَقَابِـــرْ

هَلْ رَأيتِ الأمنَ والرَاحَةَ إلا فِي الحَفَـائِرْ

فَأشَارَتْ.. فَإذا لِلَدودِ عَيشٌ فِي المَحَاجِرْ

ثُمَ قَالَتْ: أيُّها السَائِلُ.. إنّــي:

لَسْتُ أدْرِي![1]

إن هذه اللأدرية ظلت سيدة الموقف، وبقي الشاعر تائها ضائعًا حائرًا في سر الوجود، وهكذا وجد نفسه محبوسًا في إطار المجهول والغربة إذ إنه لايعلم أي شيء عن أي شيء، فهو لغز الوجود، ولذلك لاجدوى من التساؤل، فذو الحجى من قال لا أعلم، لقد وقف إيليا أبو ماضي في ميدان الوجود.

[1] - الجداول، إيليا أبو ماضي، من قصيدة (الطلاسم)، ص161-177.

يقول الدكتور عيسى الناعوري: (هذه المطولة -الطلاسم- هي مجموعة تأملات متطلعة للبحث عن الحقيقة يرسلها لايقنع بالوقوف عند الظواهر والقشور بل يحاول التغلغل إلى الأعماق)[1].

أما الدكتور محمد عبدالغني خفاجي فيقول: (إن إيليا أبو ماضي وقع في مغالطات فكرية في طلاسمه وقال لقد انسرب خيال الشاعر في أودية الظنون، وعلل الموت بتعللات لايجد العقل المؤمن لها مساغًا، وتناسى أن الموت تشذيب لشجرة الإنسانية فلا فضل للدعارة ولاذنب للطهارة وإنما هي النهاية للبشرية ماصلح وما طلح)[2].

وقال الدكتور محمد مصطفى هدارة في كتابه دراسات في الأدب العربي الحديث: (هذه اللأدرية،.... وهو في ذلك يتابع الفلاسفة الأقدمين الذين كانوا يبحثون عن معاني حوادث الوجود، فكان لابد لهم أن يتوقفوا طويلًا عند كل أمر له صلة بتأريخ الإنسانية، ليستشفوا العلاقة بين الحوادث وبين الغاية الأساسية للوجود،....وهي التي كان ينشدها ويسعى وراءها إيليا في الطلاسم)[3].

ويشير الدكتور صابر عبدالدايم إلى أن أبا ماضي (لم يتبع في مذهبه خطًّا فكريًّا له معالمه المحددة بحيث يستطيع أن يشير إلى أن مذهبه ديكارتي أو وجودي، ولكنها انفعالات طارئة يحسها الشاعر من آنٍ لآخر ويعبر عنها بصدق الشاعر وإحساس الفنان)[4].

وأنا أذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور صابر عبدالدايم من أن مطولة الطلاسم ليست إلاّ تعبيرًا صادقًا نابعًا من أعماقه، بحيث إنه بهر بما حوله، وتأمل في كل شيء، فهو يطوف وينتهي بـ(لست أدري!).

وقد اكتنف إيليا أبو ماضي الظلمة وهو يحاول أن يبحث مكانته في الوجود حيث يقول في ديوانه الخمائل:

أَنَا، مَنْ أنَا يَا تُرَى فِي الوجُود وَ مَا هُوَ شَأني وَ مَا موَضِعي؟
أنَا قَطْرَةٌ لَمَعَت الضُحَى قَلِيلًا عَلى ضِفَّةِ المَشرَعِ

***

[1] - أدب المهجر، د.عيسى الناعوري، ص282.
[2] - الشعر العربي في المهجر، د. محمد عبدالغني حسن، مقدمة الكتاب، ص 14.
[3] - دراسات في الأدب العربي الحديث، د. محمد مصطفى هدارة، ص35.
[4] - أدب المهجر، د. صابر عبدالدايم، ص322.

بَني وَطَني مَنْ أنَا فِي الوُجُودِ وَ مَاهُوَ شَأني وَ مَا موَضِعي؟[1]

وفي ديوان الجداول..يبدأ من منطق الوحدة الكونية الشاملة، والمقاييس الزمانية وهو لايقرهُ ذوو النهى المفكرة المتأملة يقول:

هَيْهَاتَ مَا أرجوْ وَلا أخشى غَـدًا هَلْ أرتجي وَأخَـــــــافُ مَالَمْ يُوجَدِ
وَالأمْس فيَّ فَكَيفَ أَحْسُبهُ انتهى أفمـا رأيتُ الأصـــل في الفرع الندي
قبلٌ كَبعدٍ حالةٌ وهـــــــــميّةٌ أَمْـــسي أَنا، يَومِي أنا، وَأنا غدي[2]

في المجهول لعله يجد إجابة لهذه (اللماذا الكبرى) وللأسئلة التي تلح عليه حتى يريح وجدانه لكن دون جدوى، فقد ظلت المأساة الوجودية تلفُّه من كل جانب، وبقيت نفس الشاعر موزعة في متاهات الألغاز الخالدة ، في سر الحياة والموت وظلال فكره في هذه المتاهات التي يهتدي فيها إنسان بعقله ويظهر عجز المغترب وجوديًا عن إدراك معنى الحياة والغاية من الوجود فيها، ويجعل الجمال من داخل النفس المطمئنة[3].

ويقول الدكتور إحسان عباس حول هاتين البيتين أدناه: (لكن هذه الأبيات ليست الأبيات الرائعة التي يذكرها القارئ من شعر أبي ماضي بل أبيات خالدة في ذاكرة الأمة)[4]:

لا دُجى يَكْرهُ العَوالِم وَالنّـا س فَيُلقِـي على الجميعِ سُدولًا
أيـُّهذا الشّاكي وَمَا بِكَ داءٌ كُنْ جَميـــلًا تَرَ الوجودَ جَميلًا [5]

ويختلف المنحى الفكري لفلسفة الخلود عند إيليا أبو ماضي عن منحى الفلسفة التناسخية عند جبران ونعيمة، فإذا كان جبران ونعيمة قد آمَنا بثنوية الجسد و الروح قائلين بتناسخ الروح في أجسام متعددة، فإن إيليا أبو ماضي قد نظر إلى الإنسان على أنه وحدة واحدة لاتنفصم، فلا نفس ولاجسد، بل هو كيان حي متفاعل، (سيواجه مصيرًا واحدًا وهو الفناء في عناصر الوجود)[6].

---

[1] - الخمائل، إيليا أبو ماضي، من قصيدة (من أنا)، ص 388،389.
[2] - الجداول، إيليا أبو ماضي، من قصيدة (الزمان)، ص80.
[3] - ينظر ديوان إيليا أبو ماضي، تقديم زهير ميرزا، ص39.
[4] - الأتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، د. إحسان عباس، ص181.
[5] - ديوان إيليا أبو ماضي، من قصيدة (فلسفة الحياة)، تقديم زهير ميرزا، ص606.
[6] - التجديد في شعر المهجر، د. أنس داود، ص231.

وقد ارتفع في البرازيل صوت رومانتيكي رقيق نستشعر فيه الأحساس بوحدة الوجود، فالإنسان يندمج مع الطبيعة، فالشاعر القروي يبتدئ إحساسه بوحدة الوجود من خلال تعبيره عن تلك الرغبة التي تلح عليه، وتستبد بنفسه، وهي الرغبة في غمر الكون:

مَنْ لِنفسٍ تَودُّ لَو تَغمُـــــــرُ الكوْ نَ هُيـــــامًا بِـحسنهِ المَعبـودْ
مَثِّلوا لِي هَذا الوجُودَ بِشَـــــــيءٍ أنَـــا لاَ أسْـتَطِيعُ ضَمَّ الوجـــودْ

***

تَطلُعُ الشَمْسُ يَسْتَبيني بَهاهـــــا وَتَلـــوحُ النجومُ أرعَى سَنَاهـــا
أيُّ وَادٍ وَلَمْ أسامرْ حَصَـــــــاهُ وَهِضـــــابٍ وَلَـمْ أُباكرْ ذُراهـــا
وَغصُونٍ وَلَمْ أغرِّد عَلَيْهَـــــــا وَ وُرودٍ وَلَـــــمْ أمصَّ جَنَـــاها

***

غَيْرَ أني عُمري قصيرٌ وَفي الكَوْنِ فنونٌ مِنْ كُـــــلِّ حســنٍ جَديدِ
مَثّلَوا لِيْ هذا الوجـــــودَ بشيءٍ إنَني أشتهي عنـــاقَ الـــوجودِ!

***

يا سُليمى! جَمَعتِ حسنَ النَهـــارَ والـــدُجَى وَ السَمَاءِ و الأَقْمَـــارِ
و رُبى و الوَهادِ وَ الغُصنِ والـــزَ هرِ وَقطرِ النَدى وَشـــدوِ الكنـــارِ
فِيكِ معنىً من كِلّ مَا أبـــدعَ البَـــ ـــارِي تَعالَى،بَلْ فِيكِ مَعنى البَارِي

***

لَوْحَةَ المَرصدِ التـــــي يَظْفرالـ ـرَاصِدُ فِيها بِكُلِ نَـــــــجمٍ بعيدِ
بِذرَاعيـــــــكِ طَوّقِينِي أطوّقْ بِذرَاعيَّ كُلَّ هَذا الوجُـــــــود![1]

وتنتاب الحيرة الشاعر المهجري الجنوبي، وهو صوت الشاعر فوزي المعلوف، وقد آذاه عيشه بين الناس حتى أبدع شعرًا يدور حول مصائب الحياة ثم الموت[2]، الذي يقول:

نَصِيبُكَ مِن هَذا الوُجود مَصائِبهْ وَدَاءٌ تُقاسِيه وَمَوتٌ تُحاربـهْ
تُســـــرُّ بِمَولُودٍ وَتأسى لِراحلٍ وَطَالعة رَهْنَ الفَنَاءِ وَغاربهْ[3]

---

[1] - ديوان القروي، رشيد سليم الخوري، من قصيدة عناق الوجود، ص712، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973.
[2] - ينظر الرومنطيقية، د. عيسى بلاطة، ص146.
[3] - ديوان فوزي العلوف، فوزي المعلوف، من قصيدة (خشوعًا أمام الموت)، ص48.

ولكن هل ترى أن التشاؤم علّة غير إحساس فوزي الرقيق الذي صدمته شرور الإنسان، في شأن الحياة و الموت عبر توغل فلسفي تأملي في الوجود:

كَيْفَ جِئْنَا الدُّنْيا؟ وَمِنْ أَيْنَ جِئْنَا؟ وَإلى أَيِّ عَالمٍ سَـــــوْفَ نُفْضي؟
هَلْ حَيينَا قَبلَ الوُجُود؟ وَهَلْ نُبْـ ـعَثُ بَعْدَ الرَّدَى؟ وَفي أَيِّ أَرْضٍ؟[1]

وفي شعلة العذاب يناقش فيها المشكلات الكونية، لكي يصل إلى الإجابات الشافية من إحساس بعبثية الوجود، (وفي النشيد الأول المعنون بـ(لغز الوجود) يتكلم عن تناقضات هذا الوجود وأسراره وتسري نظرته المتشائمة في شرايين النشيد)[2]، يقول:

بُرْعُم الزَّهرِ مَا وُجِدتَ لِتَبْقَى
بَلْ لِيَمضـــــيَ بِكَ الخَريفْ
هِذِهِ حَالُنا خُلِقنـــــا لِنَشقَى
وَلِتَقْضِيَ بِنَا الحُتُـــــــوفْ

هُوَ كُنهُ الحَيَاةِ مَازَالَ سِـــــرًّا كُلُّ حُكمٍ فِيــهِ يَئـــــولُ لِنَقْضِ!
كَيْفَ أَجْلُو غَدِي؟ وَأُدْرِكُ أَمْسِي؟ وَأَنَا حِرْتُ كَيْفَ يَوْمِي سَيَمْضِي[3]

أما شفيق المعلوف فقد يبرز الصراع بين نزعتي الوجود والعدم ليأخذ منحىً دراميًّا محسوم النتيجة لصالح الموت وقوته القاهرة في شعره، فيأتي مشهد النهاية معلنًا الهزيمة حيث تفشل جميع المحاولات اليائسة للتغلب على الموت:

فَشَخص النَسْر بِعَينِـــــهِ
وَفَحصَ الصَخْر بِظَفــرِيهِ
حَتى إذا اعتَصَـــــــــــى عَلى جَنَـــــــــــاحَيْهِ
تَفَرق الحَصَـــــــــــى مِن تَحْتِ رجلَـــــيهِ[4]

---

[1] - ديوان فوزي العلوف، فوزي المعلوف ، من قصيدة (لغز الوجود)، ص74.
[2] - أدب المهجر، د. صابر عبدالدايم، ص315.
[3] - ديوان فوزي المعلوف، من قصيدة لغز الوجود، ص74.
[4] - عبقر، شفيق المعلوف، ص115.

هنا يظهر التشبث بالحياة يبرز الصراع بين نزعتي الوجود والعدم ليأخذ منحىً دراميًا محسوم النتيجة.

وفي مكانٍ آخر يقول :

قُـــلْ لِلأَلِى يَزَخرَفُ اللحودْ
ازميلُ حفّارِهمْ:
أروَاحُنـــــا تَبني قِبَابَ الخلُودْ
بِغَير أَحـــجَارِهم
وَتَحْدج الوُجــودْ
بِغير أَبْصَارِهم[1]

وَهكذا مزج شعراء المهجر بين الشعر والفلسفة و وضعوا في عداد الشعراء المتأملين المفكرين، أمثال أبي العلاء المعري وابن سينا وابن الفارض من العرب، وكذلك تأثر جبران بفلاسفة الغرب ولاسيما (نيتشه) الذي غير مجرى حياة جبران، (خاصةً في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) وهو الذي نسج على منواله كتابه (النبي) الذي وضعه بالإنجليزية)[2].

ولعل الدكتور إحسان عباس والدكتور يوسف نجم قد شعرا بـ(أن الإيمان بالتجدد والعدم أوالبعث في الدار الثانية، معناه كيفية تقبل النفس الإنسانية للموت، وقد استطاع المهجريون أن يقيموا لأنفسهم فلسفة تختار أحيانًا التجدد والرجعة وأحيانًا أخرى العدم)[3].

وقد أتفق مع الناقدين، على أن جبران وأصحابه كانوا على علم بفعلٍ يتجسم في الموت والنهاية والفناء أيضًا، لكن جماعة الرابطة القلمية لم يهملوا العدم، بل اختاروه أحيانًا، لكن البحث بصدد كل شعراء المهجر سواء كان المهجر الشمالي، أو المهجر الجنوبي، وليس الرابطة القلمية أو جبران فقط، فمثلاً فوزي المعلوف في موقفه من الوجود لايمثل موقفًا فكريًا محدد المعالم كموقف جبران ونعيمة، وإنما موقفه من الوجود موقف الرافض، الذي ينظر إلى الوجود بمنظار أسود والوجود في نظره وهم في وهم، لذلك لايصح القول بأن شعراء الأدب المهجري كانوا يختارون الوجود بوحدته وثنائيته.

---

[1] - عبقر، شفيق المعلوف، ص110.
[2] - شعراء الرابطة القلمية، د. نادرة السراج، ص125.
[3] - الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، د. إحسان عباس، د. يوسف نجم، ص116.

وأستطيع القول بأن موقف المهجريين من الوجود يتمثل في مجموعة من الحقائق، منها الإيمان بوحدانية الوجود عند جبران ونعيمة، والمبالغة في الوجود إلى حد التعظيم عند إيليا أبوماضي، ومنهم من اتسم موقفه بالعداء للوجود، وأوضح من يمثل هذا الإتجاه فوزي المعلوف، كذلك التساؤل والحيرة والشك الدائم.